قراءة تدبرية في قوله تعالى:

{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 106] - النسخ المطابق "

*** أ.د أيمن عيد الرواجفة**

جامعة الطفيلة التقنية، المملكة الأردنية الهاشمية.

د. فايزة إبراهيم السكر

رابطة علماء الأردن الطفيلة، المملكة الأردنية الهاشمية.

*البريد الإلكتروني: aimanr@yahoo.com

الاستلام	المراجعة	القبول	النشر
2024/10/26	2024/11/11	2024/11/30	2025/1/1

الملخص:

من منطلق تدبّر القرآن الكريم بدأت هذه الدراسة التي تتناول آية النسخ التي كانت مدار البحث والاجتهاد على مرّ العصور وتعدّدت فيها الآراء والاجتهادات، وتتحدّث هذه الآية الكريمة عن موضوع النسخ الذي هو أصل من الأصول الإسلامية غير أن نظرتنا لهذه الآية سيكون على معنى من معاني النسخ لم يتم التطرّق له سابقا دون إنكار وجود النسخ بالمعاني التي أوردها العلماء، فالمعنى اللغوي للنسخ يأتي بمعنى الإزالة وبمعنى أخذ نسخة عن الشيء ويؤيد هذا المعنى {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: 29]، فالقرآن الكريم ذكر النسخ بمعنى أخذ نسخة من أعمال الناس، وتدور هذه الدراسة حول النسخ بمعنى أخذ نسخة أخرى وهذا المعنى يؤيده قوله تعالى في نفس الآية: {نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} أي نأتِ بنسخة أخرى منها قد تكون مشابهة تماما مثل قوله تعالى في سورة الرحمن: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: 13] التي تكرّرت إحدى وثلاثين مرة، وهذه الخيرية لا تعني الأفضلية لأنّ القرآن الكريم كله كلام الله تعالى لكنها قد تأتِ في موقعها الجديد بدلالات أخرى. ويؤيّد هذا الذي ذهبنا إليه قوله تعالى: {أَوْ نُنْسِهَا} فقد جاءت بقراءة عاصم بمعنى الإنساء والإزالة بضمّ النون وكسر السين ومعه بقية القرّاء سوى ابن كثير وأبو عمرو قُرِأت عندهما بفتح النون والسين وهمزة ساكنة بين السين والهاء {نَنسَأهَا} من النسأ بمعنى التأخير أي تأتِ متأخّرة في موضع آخر فوافق هذا المعنى ما قصدناه من النسخ أنه الإتيان بنسخة أخرى في موضع آخر.

الكلمات المفتاحية:

النسخ، ننسأها، القرآن الكريم: آية.

Contemplative Reading on the Quranic Verse: {Whatever verse We abrogate or cause to be forgotten, We bring one better than it or similar to it. Do you not know that Allah is over all things competent?} [Al-Baqarah: 106] Equivalent Abrogation

*** Prof. Aiman Eid Al-Rawajfeh:**
Tafila Technical University, **Hashemite Kingdom of Jordan**.
Dr. Fayza Ibrahim Al-Sukkar
Jordan Scholars Association, **Hashemite Kingdom of Jordan**.
*Email: aimanr@yahoo.com

Received	26/10/2024	Revised	11/11/2024	Accepted	30/11/2024	Published	1/1/2025

Abstract:

This study begins with a contemplative examination of some Quranic verses, focusing on the verse of abrogation, which has been a subject of research and scholarly efforts throughout the ages, leading to diverse opinions and interpretations. The verse under study addresses the topic of abrogation, an essential principle in Islamic. However, our perspective of this verse will delve into a meaning of abrogation that was not previously explored though we admit the other senses of abrogation scholars have found or addressed. The linguistic meaning of abrogation is removal or taking a copy of something. This meaning is supported by the Quranic verse: {This is our record speaking against you with truth. Indeed, We were transcribing whatever you used to do.} [Al-Jathiyah: 29]. Thus, the Quran mentions abrogation in the sense of taking a copy of people's deeds. By contrast, this study is on abrogation in the sense of taking another copy, a meaning supported by the following part of the same verse: {Bring [instead] one better than it or similar to it. Do you not know that Allah is over all things competent?}. This may indicate that Allah will bring another copy of it that may be entirely similar. This applies, for instance, to a verse in Surat Al-Rahman: {So which of the favors of your Lord would you deny?}, repeated thirty-one times. The abrogation in this context does not imply superiority, as the entire Quran is the speech of Allah; however, it may come in a new context with different implications. This interpretation is supported by the phrase: {or cause to be forgotten}, which, according to many scholars and reciters and to the reading of Assim, means to erase and eliminate. However, Ibn Kathir and Abu Amr, read it differently, {Nansa'uha}, which has the sense of delay, indicating that the verse may come later in another position. This meaning aligns with our intended meaning of abrogation, which is the introduction of another version in a different context.

Key words: Abrogation, Nansa'uha (delay), the Holy Quran, verse.

خطة الدراسة

فرضيات الدراسة:

1-أن هنالك معانٍ أخرى للنسخ وردت في آية النسخ.

2-أنّ هذه المعاني تؤيدها اللغة والقراءات ونظم القرآن الكريم.

3-أنّ هذا المعنى الذي اخترناه يؤيّده قوله تعالى: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [النحل: 101]، فالتبديل يكون بإزالة القديم ووضع الجديد مكانه أو تبديل الأماكن بين الأشياء، ويؤيده قوله تعالى: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: 29].

أهداف الدراسة:

1-إلقاء الضوء على معنى جديد من معاني النسخ في القرآن الكريم.

2-بيان وجوه جديدة لإعجاز القرآن الكريم.

3-بيان فائدة من فوائد القراءات القرآنية وتوجيهها.

4-بيان أهمية التفكّر والتدبّر في القرآن الكريم.

5-بيان فوائد النسخ بالمعنى الذي اخترناه.

-الدراسات السابقة: هذه الدراسة جديدة في مضمونها أما الدراسات في موضوع النسخ فهي لا تحصى لكثرتها لأنّ موضوع النسخ يتعلّق بالعقيدة والفقه والأحكام وهناك خلافات كبيرة حول الناسخ والمنسوخ وهذا ما أدى إلى كثرة المؤلفات في النسخ، أما هذه الدراسة فهي فهم جديد للآية الكريمة ولموضوع النسخ تؤيده الآية الكريمة وقراءة ابن عامر وابن كثير رحمهما الله تعالى، يقول قتادة: "نقل ما فيه إلى كتاب آخر، فهذا لم يغير المنسوخ منه إنما صار نظيرا له، أي نسخة ثانية منه، وهذا النسخ لا يدخل في النسخ الذى هو موضوع بحثنا"[1]، وهذا يعني أنّ النسخ بهذا المعنى ليس هو موضوع بحثه في النسخ وعلى هذا سار جميع العلماء الذين ألفوا في النسخ.

هذا وقد عثرنا على دراسات حديثة تتعلق بهذا النوع من النسخ وهي:

1-الآيات المتطابقة في القرآن الكريم: تأليف أبو معاذ وأم معاذ مكتبة عين الجامعة مكتبة على الإنترنت، وهي دراسة قامت بإحصاء الآيات المتطابقة في القرآن الكريم فقط فهي عبارة عن فهرس لهذه الآيات.

2-منظومة الجمل القرآنية المكررة في ضوء السياق والمعنى دراسة نصية دلالية، تأليف د. عبد المحسن الطباطبائي.

وهذه الدراسة هي أهمّ دراسة عثرنا عليها في هذا المجال غير أنّ المؤلّف لم يدرس الآيات المتطابقة سوى آيات سورة الرحمن وبعض الآيات المتطابقة، وقد درس الجمل المتطابقة في القرآن الكريم ولم يهتم لكونها آية أو جزء من آية وكانت الدراسة تختصّ بالمتشابه أكثر من البحث في الآيات المتطابقة.

[1]– السدوسي البصري، قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (المتوفى: 117هـ)، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: حاتم صالح الضامن، كلية الآداب، جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418هـ-1998م.

3-دلالة التكرار في سورة الرحمن، بحث من إعداد: الأستاذة زبيدة بن أسباع، نشر في مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة (الجزائر)، ٢٠١٢م.

هذا وقد تعدّدت الدراسات التي درست التكرار في سورة الرحمن غير أنها لم تُشِر إلى أنها نوع من النسخ.

-حدود الدراسة:

-تختص هذه الدراسة بالنسخ بمعنى أخذ نسخة عن الآية وإيرادها في مكان آخر، ولا تختص بمعاني النسخ الأخرى.

-تقتصر هذه الدراسة على الآيات التي تطابقت كلماتها تماما لأنه هو المقصود بالنسخ بمعنى أخذ نسخة ونقلها في مكان آخر.

-يختلف النسخ المطابق عن المتشابه الذي قد تختلف فيه الآية عن الآية بزيادة حرف أو إثباته أو تقديم أو تأخير أو غير ذلك.

-تمهيد: وسوف نتعرض بهذا التمهيد لمعاني النسخ وما يتعلّق به من مصطلحات، ومعنى "بخير منها أو مثلها" والنسيء والإبدال في اللغة والاصطلاح.

1-النسخ: وقد ورد في اللغة على معنيين: "قَالَ أَبُو إِسْحَاق الزَّجَّاجُ: النَّسْخُ فِي اللُّغَة: إِبْطَالُ شَيْء وإقامَةُ آخَرَ مُقَامَه.

وَالْعرب تَقول: نَسَخَتِ الشمسُ الظِّلَّ وَالْمعْنَى أذهبت الظِّلَّ وحلَّت مَحَله، والنَّسْخُ اكتتابك كِتاباً عَن كِتابٍ حَرْفاً بِحرف"[2]، "والثالث أن يكون مأخوذا من قول العرب: نسخت الريح الآثار، إذا أزالتها فلم يبق منها عوض ولا حلت الريح محل الآثار"[3].

والنسخ في الاصطلاح: "فالسلف كان مصطلح النسخ عندهم واسعا يدخل تحته أمور عدة منها تخصيص اللفظ العام والاستثناء وتقييد المطلق وتبيين المجمل ونحو ذلك، والمتأخرون كان مِصطلح النسخ عندهم مقصورا على إزالة وإبطال الحكم المتقدم الثابت بالدليل بحكم متراخ عنه ثابت بدليل آخر"[4]، وقد ذكر الرازي النسخ بهذا المعنى لكنه انتقل إلى الحديث عن النسخ بمعنى الإزالة دون التعليق على ما ذكره من معنى النسخ بمعنى أخذ نسخة أخرى، قال الرازي: "بَلِ النَّسْخُ هُوَ النَّقْلُ وَالتَّحْوِيلُ وَمِنْهُ نَسَخَ الْكِتَابَ إِلَى كِتَابٍ آخَرَ كَأَنَّهُ يَنْقُلُهُ إِلَيْهِ أَوْ يَنْقُلُ حِكَايَتَهُ، وَمِنْهُ تَنَاسُخُ الْأَرْوَاحِ وَتَنَاسُخُ الْقُرُونِ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، وَتَنَاسُخُ الْمَوَارِيثِ إِنَّمَا هُوَ التَّحَوُّلُ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى آخَرَ بَدَلًا عَنِ الْأَوَّلِ"[5]، وأمّا النسخ بمعنى أخذ نسخة عن الآية ووضعها في مكان آخر فلم يرد في تعريف العلماء اصطلاحا، لأنهم لم يبحثوا فيه بل جعلوه من المتشابه اللفظي أو التكرار الذي أنكر جمهور المفسرين وجوده في القرآن الكريم.

---

[2]- الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط1، 2001م، ج7، ص84.

[3]-**الرازي**، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية –الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1420هـ / 1999م، ج1، ص307.

[4]- أبو عُبيد، القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ)، الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، تحقيق: محمد بن صالح المديفر (أصل التحقيق رسالة جامعية)، مكتبه الرشد، شركة الرياض، الرياض، ط2، 1418 هـ- 1997م، ص51، المقدمة.

[5]-الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج3، ص636.

2-**النسيء**: نسا: نسئت المرأة فهي نسء، إذا تأخّر حَيضُها"[6]، "وكل متأخّر فَهُوَ نَسيء"[7]، والنسيء اصطلاحا: "والنَّسِيّ فِي التَّنْزِيل: شَيْء كَانَ يُفعل فِي الْجَاهِلِيَّة، يقدَّم المحرَّم سنة ويُنسأ سنة، أَي يؤخَّر، قَالَ ابْن دُرَيْد: لم يكن المحرَّم مَعْرُوفا فِي الْجَاهِلِيَّة، وَإِنَّمَا كَانَ يُقَال لَهُ وللصفر، الصَّفَران. وَكَانَ أول الصَّفَرين من الْأَشْهر الحُرم يحرَّم الْقِتَال فِيهِ، وَإِذا احْتَاجَت الْعَرَب إِلَى الْقِتَال أنسأته فحاربت فِيهِ فحرّمت الثَّانِي مَكَانَهُ"[8]، "قال أبو بكر: معناه: بتأخير يقال: أنسأتك البيعَ، ويقال: نسأ اللهُ في أجله، وأنسأ الله في أجله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ سَرَّهُ النَّساءُ في الأجل، والسَّعَةُ في الرزق، فليصلْ رَحِمَهُ)[9] وقرأ ابن عباس[10]: {ما نَنْسَخْ من آيةٍ أو ننسأْها} البقرة، 106، على معنى: أو نؤخرها"[11]، "النساء، يعني بتأخير، ومن ذلك قول طرفة بن العبد:

"لعمرك إن الموت ما أَنْسَأَ الفتى لك الطِّوَل المُرْخى وثِنْياه باليد"[12].

وذكر القرطبي هذا المعنى من النسخ لكنه قصد به معنى آخر: "النَّقْلُ، كَنَقْلِ كِتَابٍ مِنْ آخَرَ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْقُرْآنُ كُلُّهُ مَنْسُوخًا، أَعْنِي مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَإِنْزَالِهِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَهَذَا لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ"[13]، قال ابن كثير: "وَقَالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ: {أَوْ نُنسِهَا} نُؤَخِّرُهَا فَلَا نَنْسَخُهَا"[14]، وهذا المعنى يخدم المعنى الذي اخترناه نؤخّر مكانها دون إزالتها، وذكر ابن كثير معنى النسخ بمعنى الإتيان بالنظير دون أن يمثل له: "{أَوْ ننسئهَا} أَيْ: نُرْجِئُهَا عِنْدَنَا، نَأْتِ بِهَا أَوْ نَظِيرِهَا"[15] وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه.

"وبناء على ما سبق فإنّ تعريف النسخ بنوعه الآخر الذي تركه العلماء هو: "أخْذ نسخة مطابقة تماما عن الآية ووضعها في مكان آخر غير مكانها الأول مع بقاء النسخة الأولى في مكانها بحيث تؤدي غرضا مثل غرض الآية السابقة يدّل عليه قوله تعالى: {أَوْ مِثْلِهَا} أو أغراضا أخرى أكثر عددا أو أشمل مفهوما أو أكثر تركيزا أو أشدّ عذابا أو أعظم نعيما وهذا ما قصده قوله تعالى: {نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا}" والله أعلم.

---

[6]–الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د، ت)، ج5، ص235.

[7]–ابن دريد الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الأولى، 1987م، ج7، ص306.

[8]–ابن دريد الأزدي، مصدر سابق، ج2، ص1105.

[9]–ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط –عادل مرشد، وآخرون، د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ –2001 م، ج37، 87، رقم الحديث، 22401، قال المحقق صحيح لغيره.

[10]–وهي قراءة ابن كثير المكي وأبو عمرو البصري أيضا.

[11]–أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: 328هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1412 هـ –1992، ج1، 451.

[12]–الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ –2000 م، ج2، 774.

[13]–القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ – 1964م، ج2، ص62.

[14]–ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ – 1999م، ج1، ص376.

[15]–ابن كثير مصدر سابق، ج1، ص378.

3-الإبدال: البَدَلُ: خَلَفٌ من الشيء، والتبديل: التغيير، واستبْدَلْتُ ثوباً مكانَ ثَوبٍ، وأَخا مكانَ أَخٍ، ونحوُ ذلكَ المُبادَلةُ"[16]، قال تعالى: { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [النحل: 101]، وفي الاصطلاح: قال الزمخشري: "تبديل الآية مكان الآية: هو النسخ، والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها مصالح، وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم، وخلافه مصلحة، والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد، فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته، وهذا معنى قوله {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ} وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا، وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون: إن محمدا يسخر من أصحابه: يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا، فيأتيهم بما هو أهون، ولقد افتروا، فقد كان ينسخ الأشق بالأهون، والأهون بالأشق، والأهون بالأهون، والأشق بالأشق، لأنّ الغرض المصلحة"[17]، وهذا النسخ بالمعنى المتعارف عليه وهو ليس المقصود في بحثنا، فالمقصود هو أحد المعاني اللغوية للتبديل فتبديل الثوب مكان الثوب لا يعني الاستغناء عن الثوب الذي تمّ تبديله، وفيما اصطلحنا عليه في دراستنا تبديل آية مكان آية: أي تغيير مكان الآية مرة في المقدّمة ومرة أخرى في المؤخّرة، وهذا هو ما سنبحثه بإذن الله تعالى.

- {بِخَيْرٍ مِنْهَا} [البقرة: 106]، اختلف العلماء في قضية هل في القرآن الكريم فاضل ومفضول وقد اختلف العلماء في التفاضل بين كلام الله، فذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري والقاضي أبو بكر وأبو حاتم بن حبان، وغيرهم، إلى أنه لا فضل لبعض على بعض؛ لأن الكل كلام الله، وكذلك أسماؤه تعالى لا تفاضل بينهم، وروي معناه عن مالك، قال يحيى بن يحيى: تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ، وكذلك كره مالك أن تعاد سورة، أو تُردَّد دون غيرها، واحتجوا بأن الأفضل يشعر بنقص المفضول وكلام الله حقيقة واحدة لا نقص فيها"[18]، وقال قوم بالتفضيل لظواهر الأحاديث، منهم إسحاق بن راهويه، وتوسط الشيخ عز الدين فقال: "كلام الله في الله أفضل من كلام الله في غيره' وتفضل بعض آيات أسماء الله وصفاته على غيرها، والآيات الناسخة على المنسوخة، وكلام الله في القرآن على كلامه في الكتب السابقة"[19]، وقال الطبري: "عن قتادة في قوله: (نأت بخير منها أو مثلها)، يقول: آية فيها تخفيف، فيها رحمة، فيها أمر، فيها نهي"[20]، والظاهر أنّ معنى خيرا منها هو مجمل ما ذكره المفسرون والذي نقلنا بعضه من تخفيف وتوضيح ورحمة وتمثيل، وفيها أجر مماثل أو أكثر كما ذكر الطنطاوي: "والخيرية والمماثلة في قوله تعالى: نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها ترجع إلى ثواب العمل بها فقد يكون ثواب العمل بالناسخة أوفر من ثواب العمل بالمنسوخة قبل نسخها، وقد يكون مماثلا له، وإن كانت كل واحدة من الآيتين الناسخة والمنسوخة بالنظر إلى الوقت المقدر للعمل بها، أقوم على المصلحة من الأخرى"[21].

وقد تكون الخيرية في؛ والتوضيح والتمثيل والتبكيت والتنويع والتوكيد ومناسبة دلالات الآيات والتحدّي والتشويق.

---

[16]-الخليل بن أحمد الفراهيدي، مصدر سابق، ج8، ص45.

[17]-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت،1407هـ، ج2، ص634.

[18]-الزركشي، بدر الدين الزركشي المتوفى، البرهان في علوم القرآن، ط1، 1376، ج1، ص438.

[19]-السيوطي، جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ، ج4، ص138-139.

[20]-الطبري، مصدر سابق، ج2، ص481.

[21] -الطنطاوي، محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة-القاهرة، (د-ت)، ج1، ص242.

وقد ذكر الطباطبائي بعض وظائف الجمل المكررة في القرآن الكريم: "وظائف الجمل المكررة في القرآن الكريم تكمن في ثلاث؛ وظيفة دلالية تعنى بتوضيح الإيقاع والأصوات، ووظيفة نص المعنى وتبيين التفسير، ووظيفة جمالية تعنى بالتماسك والانسجام الشمولي"[22].

وهنالك الكثير من الوجوه التي يصعب حصرها في هذه الدراسة وستكون في كتاب سنؤلّفه فيما بعد بإذن الله تعالى لأنّ موضوع النسخ المطابق موضوع طويل وجديد ويصعب أن نحصره في هذه الدراسة لكننا أردنا تسليط الضوء عليه مبدئيّا.

-أَوْ مِثْلِهَا: هذه الكلمة هي أكبر دليل على صحة المعنى الذي تدور عليه الدراسة فأحد أوضح معانيها هو الإتيان بمثل الآية ووضعها في مكان آخر.

وقد ورد النسخ بالمعنى الذي ندرسه (المطابقة) على أشكال:

-أن تأتي النسخة الثانية من الآية بنفس السورة وهذا هو الأعم في القرآن الكريم مثل سورتي الرحمن والمرسلات.

-أن تأتي الآية بسورة وتأتي الآية المطابقة بسورة أخرى، مثل قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يونس: 48]، ووردت أيضا في: الأنبياء والنمل وسبأ ويس والملك.

-أن تأتي آيتان متتاليتان متطابقتان ثم تتطابقانِ عدة مرات في السورة مثل ما ورد في سورة الشعراء: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الشعراء: 8، 9] فقد وردت الآيتان متتابعتان متطابقتان ثماني مرات.

-أن تتطابق أكثر من آيتين في سورة واحدة دون أن تكون متتالية مثل ما ورد في سورة الصافات في قوله تعالى: {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الصافات: 80] فقد تطابقت ثلاث مرات و {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الصافات: 121] و {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الصافات: 131]، و تطابقت آية {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ } [الصافات: 40] أربع مرات في سورة الصافات {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ } [الصافات: 74] و { إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} [الصافات: 128] و { إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} [الصافات: 160] وتطابقت آية {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ} [الصافات: 78] ثلاث مرات مرات {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ } [الصافات: 108] و {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ} [الصافات: 129]، وتطابقت آية { إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} [الصافات: 81] ثلاث مرات { إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ } [الصافات: 111] و {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} [الصافات: 132].

-التطابق في الأحرف المقطعة في بدايات السور.

وستتعرّض الدراسة لأمثلة من هذا النسخ وفوائده.

المبحث الأول

النسخ المطابق في سورة واحدة

المطلب الأول

تطابق آية مع آية في سورة واحدة

أولا: سورة الرحمن

[22]-الطباطبائي، عبد المحسن، منظومة الجمل القرآنية المكررة في ضوء السياق والمعنى دراسة نصية دلالية، بحث منشور على الإنترنت.

سورة الرحمن سورة مكية عرضت مظاهر أنعام الله على الإنس والجن بأسلوب التحدّي فقد تكرر قوله تعالى: {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ} إحدى وثلاثين مرة وهذا أكبر تكرار في القرآن الكريم وهو ما سميناه نسخا مطابقا، يقول سيد قطب: "وهي إشهاد عام للوجود كله على الثقلين: الإنس والجن المخاطبين بالسورة على السواء، في ساحة الوجود، على مشهد من كل موجود، مع تحديهما إن كانا يملكان التكذيب بآلاء الله، تحديا يتكرر عقب بيان كل نعمة من نعمه التي يعددها ويفصلها، ويجعل الكون كله معرضا لها، وساحة الآخرة كذلك"[23]، وكلام سيد قطب يدلّ على أنّ كل آية من الآيات المتطابقة تدلّ على نعمة تختلف عن التي قبلها وهذا هو أحد أغراض النسخ المطابق الذي يظهر من خلاله إعجاز القرآن في عرض المعاني المتعدّدة المقصودة من خلال آية واحدة فقد تحدّى الله تعالى الإنس والجن إحدى وثلاثين مرة بنعمه المتعدّدة والمتنوعة في الدنيا والآخرة والتي تختلف عن بعضها حتى لو كانت من نفس الصنف فالجنة جنتان، يقول الآلوسي: "{فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ} من سورة الرحمن فإنها وإن تكررت إحدى وثلاثين مرة فكل واحدة تتعلق بما قبلها ولذلك زادت على ثلاثة ولو كان الجميع عائدا على شيء واحد لما زاد على ثلاثة لأن التأكيد لا يزيد عليه"[24]، ونستدلّ من كلام الآلوسي أنّ هذا التكرار ليس شرطا أن يكون للتأكيد وأنّ أقصى حدّ للتأكيد لا يزيد عن ثلاثة، وإن كان النسخ قد يأتي للتأكيد أحيانا.

وليس غريبا على اللغة العربية تكرار العبارة فهذه قصيدة عديّ بن ربيعة المهلهل من شعراء العصر الجاهلي: (أليلتنا بذي حسم أنيري):

على أن ليس عدلاً من كليب ... إذا طرد اليتيم عن الجزور

1-على أن ليس عدلاً من كليب ... إذا ما ضيم جيران المجير

2-على أن ليس عدلاً من كليب ... إذا علنت نجيات الأمور

3-على أن ليس عدلاً من كليب ... غداة تلاتل الأمر الكبير

4-على أن ليس عدلاً من كليب ... إذا رجفَ العضاهُ من الدبور"[25]

وحينما يتعمق مقطع من المعنى في حس الشاعر تراه يكرره، وتراه أحيانا يلح في تكراره ليقرره في النفوس كما تقرر في نفسه أولا؛ لأنه يستعذب هذا التكرار ويستعذب ما يبعثه من أنغام تمل طابع نفس، فهي شاجية إن كان في سياق الأسى، وهي طروبة إن كان في سياق يشبه الطرب ويتصل به"[26].

فصدر البيت هذا تكرّر أكثر من عشرين مرة، وفي كلّ مرة يذكر الشاعر حدثا جديدا حتى يُشعر السامع بهول ما حدث، والقرآن الكريم استعمل لغة العرب هذه للتدليل على عِظم أنعام الله تعالى وأهوال يوم القيامة وشدّة العذاب في جهنم.

وسنقوم بهذا المطلب بتفسير دلالة {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ} في كل مرّة ذُكرت فيها لنثبت أنّ هنالك معنى مختلف قبل وبعد هذه الآية وسيكون العرض بعد الآية المكررة بإذن الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

---

[23]–قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق – بيروت– القاهرة ط17، 1412 هـ، ج6، ص3445.

[24]–الآلوسي، مصدر سابق، ج14، 97.

[25]– اليزيدي، أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد بن المبارك اليزيدى (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن – الهند، ط1، 1397 هـ - 1938 م، ص120.

[26]– أبو موسى، محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، ط7، (د،ن)، ص293.

{الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (12) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } [الرحمن: 1 - 13]، سمّيت هذه السورة وابتدأت بصفة عظيمة من صفات الله سبحانه

أمرنا سبحانه أن ندعوه بها قال تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} [الإسراء: 110]، وورد بهذه المجموعة من الآيات بعض آيات قدرة الله تعالى في خلق الإنسان وتعليمه البيان وتجوّلت في آيات قدرته سبحانه في الكون مثل حركة الشمس والقمر والأرض، والحديث عن الميزان الذي أقامه الله تعالى وأمر بإقامته في الأرض ذكر سبحانه التحدّي بآلائه الذي جاء على وجه التبكيت، يقول الزمخشري: "بكّت بتلك الجمل الأُوَل الواردة على سنن التهديد، ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقريع الذين أنكروا الرحمن وآلاءه، كما يبكّت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدّمته، ثم ردّ الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب"[27]، والنجم والشجر يسجدان وبعض الإنس والجنّ لا يسجد وهذا مزيد من التبكيت، وجاءت الآيات التي بعدها على وجه الرحمة والإنعام، فالحبوب التي ينبت منها النبات ويأكل الإنسان منها وكذلك الحيوان هي من مظاهر قدرته سبحانه وتعالى وهي من أعظم النعّم يقول البقاعي: "ولما كان في سياق بيان الرحمة بمزيد الإنعام، وكان إقامة البينة أعظم نعمة، وكانت الفواكه ألذ ما يكون، وكانت برقتها وشدة لطافتها منافية للأرض في يبسها وكثافتها، فكان كونها فيها عجباً دالاً على عظيم قدرته، وكان ذكرها يدل على ما تقدمها من النعم من جميع الأقوات"[28]، فكان التحدي بآلاء الله تعالى مرة للتبكيت ومرة للنعمة والرحمة ثم التحدّي بها فيما بعد كل مرة بموضوع يرتبط بما قبله وبعده فقد جاء قوله تعالى: {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: 17، 18]، لتعظيم المنعم وعرض المزيد من مظاهر قدرته فهو ربّ المشرقين والمغربين اللّذين اختلف في تفسيرهما المفسرون، قال ابن كثير: "{رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} يَعْنِي: مَشْرِقَيِ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ، وَمَغْرِبَيِ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ، وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ} [الْمَعَارِج: 40]، وَذَلِكَ بِاخْتِلَافِ مَطَالِعِ الشَّمْسِ وَتَنَقُّلِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَبُرُوزِهَا مِنْهُ إِلَى النَّاسِ، وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا} [الْمُزَّمِّل:9]، وَهَذَا الْمُرَادُ مِنْهُ جِنْسُ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَلَمَّا كَانَ فِي اخْتِلَافِ هَذِهِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، مَصَالِحُ لِلْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ"[29] قَالَ أبو الفداء: {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ} "أن تجعل مغرب الصيف على يمينك ومشرق الشتاء على يسارك فتكون مستقبل القبلة فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ مما في ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته الى غير ذلك"[30]، وقول أبي الفداء يعني أنّ التحدّي بالمشارق والمغارب تحدٍّ بمنافعهما وهو أقوى في التأثير في نفس السامع من عرض النعم الذي كان مقدّمة لذكر المنافع، والمشارق وهذا ما يمثله معنى {بِخَيْرٍ مِنْهَا} في الآية الكريمة، ثم ذكر سبحانه طبيعة خلْق الإنسان وهو المخلوق الذي كلفه الله تعالى بخلافة الأرض وعمارتها وتسخير المخلوقات له وطبيعة خلقه من الصلصال، ثم تكوينه الحالي يعرض مدى قدرة الله تعالى في الخلق والإبداع وهي آية عظيمة، وكذلك خلْق الجان من مارج من نار ذاك المخلوق العجيب الذي يملك قدرات خارقة لكنه مع ذلك ليس المخلوق الأول في الأرض لكنّ التحدي له وهو المخلوق القوي جاء في مكانه

---

[27]–الزمخشري، مصدر سابق، ج4، ص443.

[28]–البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د، ت)، ج19، ص149.

[29]–ابن كثير، مصدر سابق، ج6، ص492.

[30]– أبو الفداء الاستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ) ،دار الفكر، بيروت، (د، ت)، ج9، ص294.

هنا: وهنا يظهر التخصيص فيما بين السماء والأرض من مخلوقات لتتدرّج الآيات لتدخل في تفاصيل هذه الآيات ليأتي ذِكْرُ بعض الآيات مثل البحار وأنواعها وما أودع الله تعالى بها من نعم، وجريان السفن عليها دون أن تغرق، كلّ هذا يثير العجب من تكذيب بعض الإنس والجان: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (22) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (23) وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (25)} [الرحمن: 19 - 25].

ثمّ يأتي فصل جديد في التحدّي يجعل القارئ يستسلم وييأس من التكذيب لما يرى من أنّ الآيات التي يستعظمها تفنى وكأنها لم تكن ولا يبقى إلا وجه الله تعالى، {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: 26 - 28]، "وَفِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: وَهُوَ الصَّحِيحُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي عليها عَائِدٌ إِلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ مَعْلُومَةٌ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَذْكُورَةً قَالَ تَعَالَى: وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا [فَاطِرٍ: 45] الْآيَةَ وَعَلَى هَذَا فَلَهُ تَرْتِيبٌ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا قَالَ: وَلَهُ الْجَوارِ الْمُنْشَآتُ [الرحمن: 24] إِشَارَةً إِلَى أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَعْرِفُ وَيَجْزِمُ بِأَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي الْبَحْرِ فَرُوحُهُ وَجِسْمُهُ وَمَالُهُ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِذَا خَرَجَ إِلَى الْبَرِّ وَنَظَرَ إِلَى النَّبَاتِ الَّذِي لِلْأَرْضِ وَالتَّمَكُّنِ الَّذِي لَهُ فِيهَا يَنْسَى أَمْرَهُ فَذَكَّرَهُ وَقَالَ: لَا فَرْقَ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَكُلُّ مَنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَإِنَّهُ كَمَنْ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ"[31]، سبحانه الباقي الذي تتوجّه إليه الخلائق بالسؤال { يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: 29، 30]، ولئلا يتوهم السامع أنّ الله يجري عليه الوقت ذكر الماتريدي ما يأتي: "أن اللَّه تعالى إذا وصف بشيء يوصف بالأزل، يقال: عالم لم يزل، قادر لم يزل، رازق بذاته لم يزل، وإذا ذكر بأمر وتدبير مضاف إلى الخلق يوصف على ذكر الوقت؛ فيكون الوقت للخلق لا له، نحو أن يقال: إن اللَّه تعالى لم يزل عالما بجلوسك هاهنا، أو في هذا الوقت؛ أي: لم يزل عالما أنه يجلس الآن، أو يجيء الآن، أو في هذا الوقت، وإذا وصفته بالماضي، قلت: لم يزل عالما بما كان، وبالمستقبل: لم يزل عالما بما يكون أنه يكون في وقت كذا، وللحال: لم يزل عالما بكونه كائنا للحال، ونحو ذلك، نفيا لوهم الخلق: أن المخلوق كيف يكون في الأزل؟! فعلى ذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} ذكر اليوم والوقت؛ لئلا يتوهم بكون الخلق قديما"[32]، وقال ابن عطية: "كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ أي يظهر شأن من قدرته التي قد سبقت في الأزل في ميقاته من الزمن من إحياء وإماتة ورفعة وخفض، وغير ذلك من الأمور التي لا يعلم نهايتها إلا هو تعالى"[33].

ثم عادت الآيات الكريمة للحديث عن عظمته سبحانه التي تجلّت بحاجة المخلوقات إليه وتحدّاهم بذلك وهو تحدٍّ مختلف عما سبقه لأن المخلوقات لا تستطيع إنكاره لأنهم يفزعون فعلا إليه سبحانه وهو تدرّج في التحدّي، ثم يتحوّل الخطاب من الغائب إلى الحاضر للإنس والجنّ بعد أن كان للمخلوقات جميعا تخصيص يتعلّق بمخلوقين عاقلين {سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: 31، 32] وهذا خطاب تهديد للمكذّبين من الإنس والجانّ يقول الزمخشري: "سَنَفْرُغُ لَكُمْ مستعار من قول الرجل لمن يتهدّده: سأفرغ لك، يريد: سأتحرّد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنك، حتى لا يكون لي شغل سواه، والمراد: التوفر على النكاية فيه والانتقام منه، ويجوز أن يراد: ستنتهى الدنيا وتبلغ آخرها، وتنتهي عند ذلك شئون الخلق التي أرادها بقوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فلا يبقى إلا شأن واحد وهو جزاؤكم، فجعل

---

[31]–الرازي، مصدر سابق، ج29، ص354.

[32]–الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د.مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1426 هـ - 2005 م، ج9، ص473.

[33]–ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422 هـ، ج5، ص299.

ذلك فراغا لهم على طريق المثل"[34]، وهو تدرّج في الخطاب والتحدّي من عرض مظاهر قدرة الله تعالى إلى عقوبة المكذّبين من الثقلين.

ثم يتحول خطاب التحدي إلى التفصيل بخطاب الإنس والجنّ بدلا من خطابهما معا بالثقلين وهذه المرّة بدعوتهم لاختراق السماوات والأرض إن استطاعوا: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: 33 -36]، وهذا تحوّل كبير بعد التحدّي بآيات الله تعالى وقدرته ومظاهر نعمته إلى دعوة الإنس والجنّ لاختبار قدراتهم على النفاد وقوله تعالى: "{فانفذوا} أَي: اخْرُجُوا، وَهَذَا على طَرِيق التهديد وَقَوله: {لَا تنفذون إِلَّا بسُلْطَان} أَي: حجَّة، وَيُقَال: لَا تنفذون إِلَّا فِي سُلْطَان، وَالْبَاء بِمَعْنى فِي، حَيْثُمَا كُنْتُم فَأَنْتم فِي سلطاني وملكي وَاخْتلفُوا أَن هَذَا القَوْل مَتى يكون؟ فالأكثرون على أَنه يَوْم الْقِيَامَة يكون، وَينزل الله تَعَالَى لملائكة حَتَّى ينفذوا على أقطار السَّمَوَات وَالْأَرْض، فَإِذا رأى الْجِنّ وَالْإِنْس أهوال الْقِيَامَة هربوا، فتردهم الْمَلَائِكَة"[35]، وأيا كان زمن هذا التحدّي في الدنيا أو الآخرة فلن يستطيع الإنس ولا الجنّ بقدراتهم الخارقة الاختراق إلا بمشيئة الله تعالى وقدرته مع أنّ الأولى أن يكون التحدّي في الدنيا لتنبيه الإنس والجنّ إلى عدم الاغترار بما آتاهم الله تعالى أو التكبّر في الأرض كما تكبّر فرعون وغيره، وتنبيه لهم من أنّ الله أنه سوف يأخذهم بالعذاب إذا فعلوا ذلك، وقيل الهرب من الموت[36].

وبمناسبة ذِكْر العذاب بدأ الحديث عن أهوال يوم القيامة:{فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (40)}[الرحمن: 37 -40]، ويقابله جزاء المحسنين أربع جنات كل جنتين تتصف بصفات تختلف عن الجنتين الأخريين للدلالة على أن المؤمنين يتنعّمون بالجنان أو هي جنة واحدة فيها جنان كما ذكر الرازي[37] مقابل طواف الكافرين بين النار والحميم، والتفريق بين الجنان فيه تشويق وتنويع فبعض الجنان فيها فاكهة وبعضها اسودّ لون اخضرارها لكثافتها فضلا عن الحور العين وفراش الجنان وثمارها وعيونها، وبعد كل وصف من أوصاف هذه الجنان يأتي التحدي بآلاء الله تعالى وهي تستحقّ التحدي بها وانتهت السورة بوصف الجنان وهو ختام رائع لمن خاف مقام ربه والتعبير بالخوف من مقام الله تعالى فيه تعظيم لله تعالى وهو يناسب التحدّي الذي قامت عليه السورة: { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (47) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (49) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (51) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (52) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (53) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (54) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (55) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (57) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (59) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (61) وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (63) مُدْهَامَّتَانِ (64) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (65) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (66) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (67)} [الرحمن: 46 - 67].

إنّ النسخ المطابق يتجلى بأوضح مثال في سورة الرحمن ففي كلّ مرة جاءت {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} كانت تعلّق على حدث أو وصف جديد أو تفصيل وهذه بعض معاني: {نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا} [البقرة: 106] وهذه بعض غايات أخذ نسخة من الآية الكريمة ووضعها في موضع متأخّر وهذا معنى أو ننسأها.

---

[34]–الزمخشري، مصدر سابق، ج4، ص488.

[35]–السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعوديةط1، 1418هـ- 1997م، ج5، ص330.

[36]-انظر: السمعاني، مص در سابق، ج5، ص300.

[37]-انظر: الرازي، مصدر سابق، ج29، ص371.

"وكما يقول العفيفي: "والتكرار على هذا النحو لافت للنظر في تمييز النص إزاء نصوص أخرى، فهو يفضي إلى تكامل بين قواعدً الربط وقواعد التناهي، حيث توجد الجملة المكررة في مكان تؤدي به مهمتين تكون ختاما لكلام، كالتعقيب، وبداية لكلام يبتدأ به (مضمون المعنى القادم)، بالإضافة إلى أنها تساعد على تكثيف الدلالة وتلوين النص بمعانٍ ثانية"[38]

ثانيا: سورة الكافرون

وكما أوردنا مثالا على أكثر نسخ مطابق في القرآن الكريم في السورة الواحدة في سورة الرحمن نورد مثالا على أقصر سورة ورد فيها التطابق بين آيتين:

بسم الله الرحمن الرحيم

{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)} فقد تطابقت الآيتان الثالثة والخامسة من السورة فقد جاءت الآية رقم (3) لتقرّر حقيقة أنّ الكافرين لن يعبدوا ربّ محمد صلى الله عليه وسلم وجاءت الآية رقم (5) لتؤكّد هذه الحقيقة بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم وهو خطاب لمن سبق في علم الله تعالى أنهم لن يؤمنوا، ولتكرار الوقت كما نقل البغوي: "قَالَ الْقُتَيْبِيُّ: تَكْرَارُ الْكَلَامِ لِتَكْرَارِ الْوَقْتِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنْ سَرَّكَ أَنْ نَدْخُلَ فِي دِينِكَ عَامًا فَادْخُلْ فِي دِينِنَا عَامًا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ"[39].

المطلب الثاني

النسخ المطابق بين آيتين في سورة واحدة

وهذا النوع من النسخ المطابق ورد في سورة الشعراء وهي سورة مكية حيث تطابق قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الشعراء: 8، 9] ست مرات.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (68)} [الشعراء: 67، 68]

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (103) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (104)} [الشعراء: 103 -104]

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (121) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الشعراء: 121، 122]

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (174) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (175)} [الشعراء: 174، 175]

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (190) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (191)} [الشعراء: 190، 191]

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (174) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الشعراء: 174، 175]

[38]-عفيفي، أحمد: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م، ص107.

[39]-**البغوي**، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420 هـ، ج5، ص315.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (190) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الشعراء: 190، 191]

فقد جاءت الآيتان في الموضع الأول للتنبيه على مظاهر قدرة الله تعالى في النبات هذه القدرة التي غفل عنها الكافرون، وكانت عامة قريش كافرة إلاّ قليلا ممن آمن مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي الموضع الثاني جاءت الآيتان تعقيبا على هلاك فرعون، قال ابن الجوزي: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً يعني: في إهلاك فرعون وقومه عبرة لمن بعدهم وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ أي: لم يكن أكثر أهل مصر مؤمنين"[40].

وفي الموضع الثالث جاءت الآيتان تعقيبا على قصة إبراهيم عليه السلام عندما حطّم التماثيل ودعائه لنفسه ولأبيه ومشاهد الجنة والجحيم، يقول ابن كثير: "ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} أَيْ: إِنَّ فِي مُحَاجَّةِ إِبْرَاهِيمَ لِقَوْمِهِ وَإِقَامَتِهِ الْحُجَجَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْحِيدِ لَآيَةً وَدَلَالَةً وَاضِحَةً جَلِيَّةً عَلَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"[41].

وفي الموضع الرابع جاءت الآيتان تعقيبا على قصة نوح عليه السلام، يقول أبو السعود: "{إِنَّ فِى ذَلِكَ} أي فيما ذُكر من نبأ إبراهيمَ عليه السَّلامُ المشتملِ على بيان بُطلانِ ما كان عليه أهلُ مكَّةَ من عبادةِ الأصنامِ وتفصيلِ ما يؤول إليه أمرُ عَبَدتها يومَ القيامةِ من اعترافِهم بخطئِهم الفاحشِ وندمِهم وتحسُّرهم على ما فاتَهُم من الإيمان وتمنّيِهم الرَّجعةَ إلى الدُّنيا ليكونُوا من المؤمنين عند مشاهدتِهم لما أزلفت لهم جنَّاتُ النَّعيمِ وبُرِّزتْ لأنفسهم الجحيم وغشيهم ما غشيهم من ألوانِ العذابِ وأنواعِ العقابِ {لآيَةً} أي آية عظيمةٌ لا يُقادرُ قَدرُها موجبةً على عبدة الأصنامِ كافَّةً لا سيَّما على أهلِ مكَّةَ الذينَ يدَّعُون أنَّهم على ملَّةِ إبراهيمَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أنْ يجتنبُوا كلَّ الاجتنابِ ما كانُوا عليه من عبادتها خوفاً أنْ يحيقَ بهم مثلُ ما حاق بأولئك من العذابِ بحكم الاشتراكِ فيما يُوجبه"[42].

وفي الموضع الخامس جاءت الآيات تعقيبا على قصة نوح عليه السلام وغرق قومه ونجاته ومن معه من المؤمنين في السفينة، يقول ابن عاشور: "الْآيَةُ فِي قِصَّةِ نُوحٍ دَلَالَتُهَا عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يُقِرُّ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَهُ، فَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ آيَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُمْ يَعْلَمُونَ قِصَّةَ نوح والطوفان"[43].

وفي الموضع السادس جاءت الآيتان تعقيبا على قصة شعيب عليه السلام الذي دعا قومه إلى الإيمان بالله تعالى والقسط بالميزان، وإنّ العبرة بما حصل لهم من العذاب بعد تكذيبهم.

وفي الموضع السابع جاءت الآيتان الكريمتان تعقيبا على قصة لوط عليه السلام وقومه الذين لم يعتبروا بآيات الله تعالى التي كانت فيمن سبقهم.

وفي الموضع الثامن جاءت الآيتان الكريمتان تعقيبا على قصة شعيب عليه السلام مع قومه الذين كانوا يطففون في الميزان ولم يستمعوا لدعوة شعيب لهم بالإيمان والانتهاء عن التطفيف في الميزان.

وتناسخت الآية الكريمة: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: 108] ثماني مرات في سورة الصافات في الآيات 110 و 126و 131 و 144 و 150 و 163 و 179، وقد سبق في سورة الرحمن مثل هذا التطابق فكل آية وردت تعقيبا على معنى جديد.

---

[40]-ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422 هـ، ج3، ص340.

[41]-ابن كثير، مصدر سابق، ج6، ص64.

[42]-أبو السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج6، ص536.

[43]-ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ، ج19، ص164.

ومن خلال ما سبق فإننا نتبين أنّ الآيتين جاءتا بعد قصة من قصص الأنبياء عليهم السلام وكل مرة كانت هنالك عبرة جديدة ودلالة أخرى وهذا هو القصد في قوله تعالى: {نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها} [106] البقرة.

المطلب الثالث

النسخ المطابق بأكثر من آيتين في سورة واحدة دون أن تكون متتالية

سورة الصافات

أن تتطابق أكثر من آيتين في سورة واحدة دون أن تكون متتالية مثل ما ورد في سورة الصافات في قوله تعالى: {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الصافات: 80] فقد تطابقت ثلاث مرات، ففي الموضع الأول جاءت الآية تعقيبا على قصة نوح عليه السلام فقد استجاب له ربه دعاءه وأهلك الكافرين من قومه ونجّاه منهم فاستحق السلام من ربه واستحقّ الجزاء الحسن، وفي الموضع الثاني {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الصافات: 121] جاءت الآية الكريمة تعقيبا على قصة موسى وهارون عليهما السلام ونجاتهما، وفي الموضع الثالث جاءت الآية تعقيبا على قصة إلياس عليه السلام ودعوته لقومه أن يتركوا عبادة صنمهم بعل ويعبدوا الله تعالى ربهم وربّ آباؤهم الأولين فاستحقّ الجزاء بأن وصفه ربه بالإحسان {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الصافات: 131]، فكلّ آية جاءت تعقيبا على قصة نبي من الأنبياء عليهم السلام.

وتطابقت آية {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} [الصافات: 40] أربع مرات في سورة الصافات {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} [الصافات: 74] و {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} [الصافات: 128] و {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} [الصافات: 160].

فقد جاءت الآية 40 تعقيبا على ذِكْر الشياطين ومحاولتهم الاستماع للغيب وموقف قريش من رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وجاءت الآية 74 تعقيبا على موقف الأصدقاء يوم القيامة فيفتقد المؤمن صديقة الكافر فيراه في جهنم، وتأتي المقارنة بي دخول الجنة ودخول جهنم التي جاء وَصْف شجرة الزقوم فيها، وقد ضلّ قبل قريش أقوام كثيرة اتبعت ضلال آبائها فاستحقت دخول النار، ويأتي الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم للنظر والتدبر في مصائر المكذّبين واستثناء عباد الله المخلَصين.

وجاءت الآية 128 للتعقيب على مجموعة من قصص الأنبياء عليهم السلام؛ قصة نوح وإبراهيم وإسحاق وموسى وهارون وإلياس فقد كذّبتهم أقوامهم فاستحقت العذاب إلاّ عباد الله المخلَصين.

وجاءت الآية 160 تعقيبا على قصتي لوط ويونس عليهما السلام والحديث عن ادّعاءات المشركين بأنّ لله ولدا سبحانه عما يقولون.

وبالنظر إلى الآيات الأربع نجد أنّ دلالة كلّ آية منها على معانٍ مختلفة وكل منها عقّبت على شيء يتعلّق بنبيّ مثل الآيتان 40 و74 التي تعلّقت بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم والآيتان 128 و160 اللتان عقبتا على مجموعة من قصص الأنبياء، وهذا ما يفسّر لنا معنى قوله تعالى: {نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها} [106] البقرة.

وتطابقت آية {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ} [الصافات: 78] ثلاث مرات {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ} [الصافات: 108] و {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ} [الصافات: 129].

وقد جاءت الآية 78 للتعقيب على قصة نوح عليه السلام بأنّ الله تعالى جعل له ذكراً حسنا كما يقول الطبري:

"وأبقينا عليه، يعني على نوح ذكرا جميلا وثناء حسنا في الآخرين، يعني: فيمن تأخَّر بعده من الناس يذكرونه به"[44].

الذي استحقّ الذكر الحسن.

وجاءت الآية 108 للتعقيب على قصة إبراهيم عليه السلام عندما استجاب لأمر ربه بذبح ولده وهذا هو البلاء المبين ولذلك استحقّ الذكر الحسن إلى يوم القيامة.

وجاءت الآية 129 تعقيبا على قصة إلياس عليه السلام الذي واجه قومه بقوّة وعاب عليهم عبادتهم لصنمهم بعل فاستحقّ الثناء الحسن في الآخِرين.

والذكر الحسن لا يعني فقط المدح والثناء بل يعني الحبَّ والاقتداء، وقد كان لكلّ نبي موقف استحقّ عليه الذكر الحسن وهذا تنويع في أسباب الذكر الحسن ففي كلّ قصة موق يستحقّ هذا الذكر.

وهذه الآيات الثلاث اختصت بجزاء المؤمنين في الدنيا وهو أن يبقى ذكرهم قائم إلى يوم القيامة، وهو أحسن جزاء للمؤمن الدنيا بأن يخلد ذكره ويُذكر بالخير فيمن بعده، وتطابق هذه الآيات جاء لتأكيد هذا الجزاء ولتحفيز المدعوين على الإيمان والصبر على البلاء وهذا أحد معاني قوله تعالى: {نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها} [106] البقرة.

وتطابقت آية {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} [الصافات: 81] ثلاث مرات {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} [الصافات: 111] و {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} [الصافات: 132].

فقد جاءت الآية 81 في وصف نوحٍ عليه السلام بالإيمان فقد توجّه لربه بالدعاء المخلص فاستجاب له سبحانه وأنّ من مظاهر الإيمان استجابة الدعاء.

وجاءت الآية 111 تعقيبا على طاعة إبراهيم عليه السلام لربه بذبح ولده وهو موقف عظيم يدلّ على رسوخ إيمانه فاستحقّ لقب الإيمان.

وجاءت الآية 132 على دعوة إلياس عليه السلام لقومه وانتقاد عبادتهم، والدعوة إلى الحق هي واجب يقوم به المؤمنون.

والنظر للآيات الثلاث يرى أنّ كلّ جاءت بأحد مواقف الأنبياء الذي استحقّ به لقب الإيمان وهذا تنويع بمظاهر الإيمان، وهذا يدلّ على أحد معاني قوله تعالى: {نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها} [106] البقرة.

المبحث الثاني

النسخ المطابق بين السور

ومعناه أن تأتي الآية بسورة وتأتي الآية المطابقة بسورة أخرى، وهو أنواع:

النوع الأول: النسخ المطابق بين السور المكية.

مثل قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يونس: 48]، فقد تطابقت ستَّ مرات مع الآيات في: الأنبياء والنمل وسبأ ويس والملك.

والناظر في السياق الذي ورد فيه آية سورة يونس يجد أنّ الخطاب فيها موجّه للرسول صلى الله عليه وسلم بأنّ الله تعالى ربما يعذّب الكافرين في حياته أو بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

[44]–الطبري، مصدر سابق، ج21، ص59.

وسياق الآية في سورة الأنبياء هو أيضا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وعن طبيعة العجلة في خلْق الإنسان من عجل ثم الحديث عن تساؤل المشركين عن وعد الآخرة {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الأنبياء: 38]

وسياق الآية في سورة النمل فيه نهي للرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن على الكافرين فقد كان يتمنى دائما إسلامهم {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [النمل: 71].

وسياق الآية في سورة سبأ هو خطاب للرسول صلى عليه وسلم أن يخبر المشركين عن عدم مسؤولية النبي صلى الله عليه وسلم عن أعمالهم وعدم مسؤوليتهم عن أعماله ثم إخبار من الله تعالى أنه رسول للناس كافة، {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سبأ: 29].

وسياق الآية في سورة يس هو حديث عن بعض صفات المشركين ومواقفهم وأحاديثهم وحديث عن آيات الله تعالى في الكون، {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يس: 48].

وسياق الآية في سورة الملك هو حديث عن المشركين وتنكبّهم عن الهدى وحديث عن بعض آيات الله تعالى في خلقه، {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الملك: 25].

إنّ التشابه في السياق بين الآيات الكريمة في سورها المتعدّدة يدلّ على أنّ هذه الآيات المتطابقة جاءت بسياق واحد مع تعدّد سورها غير أنّ هذا السياق يختلف في تفاصيله من سورة لسورة، وهذا مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم في نظمه وموضوعاته تظهر فيه الحكمة من النسخ المطابق والإعجاز في الاستدلال بنفس النص بمواقف مختلفة.

النوع الثاني: النسخ المطابق بين السور المدنية.

ومع أن النسخ المطابق يشيع في السور المكية سواء أكان في السور ذاتها أو بين السور إلاّ أنه تواجد أيضا بين السور المدنيّة مثل قوله تعالى: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [آل عمران: 182] وقوله تعالى:

{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [الأنفال: 51] فقد كان السياق في سورة آل عمران هو الحديث عن اليهود وهم صنف أصناف الكفار الذين ذُكر بقية أصنافهم في سياق آية الأنفال الذي كان في هذه السورة عن اغترار كفار قريش بقوتهم وتغرير الشيطان بهم وعن المنافقين الذين قالوا أنّ المؤمنين قد اغتروا بدينهم والكافرين عند وفاتهم حيث تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وهذا ما يمثل التفصيل الذي قصده قوله تعالى: {نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها} [106] البقرة.

النوع الثالث: النسخ بين السور المكية والمدنيّة.

فقد تطابق قوله تعالى في سورة البقرة المدنيّة مرة واحدة مع نفس الآية في سورة لقمان المكية {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة: 5]، {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [لقمان: 5].

وقد كان السياق في الآيتين متشابها فكان الحديث عن بعض صفات المؤمنين التي نالوا بها الفلاح مثل إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحتى أن السورتين بدأتا ب "ألم" وجاءت الآيتان في مقدّمة السورتين ثم الحديث عن الكتاب المبين.

المبحث الثالث

النسخ المطابق بين الحروف المقطعة في بدايات بعض السور

فقد تطابقت بعض بدايات السور التي بدأت بالأحرف المقطعة وهي:

1-"الم" وقد بدأت بها ست سور هي سورة البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة، وقد كان الحديث عن القرآن الكريم في بداية سورة البقرة وآل عمران ولقمان والسجدة، وكان الحديث في بداية العنكبوت عن البلاء والفتنة، وفي سورة الروم كان الحديث عن غلبة الروم للفرس، ولا شكّ أنّ الفتنة والابتلاء والنصر بينهما علاقة أنّ النصر لا يأتي إلا بعد الابتلاء وأنّ الحديث عن الكتاب الذي نزل ليعلّم الناس سنن الله تعالى في الابتلاء والنصر.

2-"الر" وقد بدأت بها خمس سور هي: يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، وجميعها تحدثت في بدايتها عن الكتاب المبين والقرآن الكريم.

3-"طسم" وقد بدأت بها سورتان: الشعراء والقصص، وقد بدأت السورتان بالحديث عن التاب والقرآن الكريم.

4-"حم" وقد بدأت بها ستّ سور: غافر وفصلت والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف، وقد بدأت هذه السور جميعا بالحديث عن الكتاب والقرآن الكريم.

والحديث عن علاقة الأحرف المقطعة وموضوع سورتها حديث طويل يحتار فيه ذوي الألباب لما فيه مسائل واضحة وأخرى غير واضحة، وهو موضوع لا زال بكرا في مجال الدراسات التي بحثت فيه، وقد اخترنا في هذا المبحث اختيار العلاقة الأوضح وهي أن معظم السور التي بدأت بالأحرف المقطعة بدأت بالحديث عن القرآن الكريم مرة بلفظ القرآن ومرة بلفظ الكتاب.

والتطابق في البداية بالأحرف المقطعة في بعض سور القرآن الكريم يحتاج إلى دراسة مفصلة لإظهار دقة العلاقات بين السور وأن القرآن الكريم وحدة واحدة متناسقة.

الخاتمة

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1-أنّ النسخ المطابق حقيقة موجودة في القرآن الكريم لا مجال لإنكارها وأنّ القرآن الكريم ذكر هذا النسخ وأشار إليه صراحة في آية النسخ موضوع الدراسة.

2-أنّ الدارسين قد خلطوا وجمعوا بين النسخ المطابق والمتشابه وهذا أدّى إلى إهمال هذا النوع من النسخ وعدم تسليط الضوء عليه.

3-أنّ بعض الباحثين أطلق اسم "التناصّ" على هذا النوع من النسخ وقد آثرنا اسم "النسخ المطابق" لأنه أوضح في الدلالة على المقصود ولأنّ القرآن الكريم قد سماه نسخا، مع أنهم ركّزوا على المتشابه اللفظي في دراساتهم.

4-أنّ هذا النوع من النسخ شائع في القرآن الكريم ولهذا استحقّ أن تتحدّث عنه آية النسخ موضوع الدراسة.

5-أنّ هذه الدراسة أخذت عينات يسيرة من أمثلة هذا النسخ وأنّ النيّة تتجه إلى إصدار كتاب أشمل بهذا الموضوع يستقصي جميع حالات النسخ بحيث يصبح أساسا للدراسات في هذا المجال.

6-أنّ النسخ المطابق في الأحرف المقطعة موضوع بكرٌ يحتاج إلى دراسات معمّقة تكشف جوانب الإعجاز والسّحر في هذا المجال.

المراجع

1. [1]- السدوسي البصري، قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (المتوفى: 117هـ)، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: حاتم صالح الضامن، كلية الآداب، جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418هـ-1998م.
2. [1]- الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط1، 2001م، ج7، ص84.
3. [1]-**الرازي**، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1420هـ / 1999م، ج1، ص307.
4. [1]- أبو عُبيد، القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ)، الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، تحقيق: محمد بن صالح المديفر (أصل التحقيق رسالة جامعية)، مكتبه الرشد، شركة الرياض، الرياض، ط2، 1418 هـ- 1997م، ص51، المقدمة.
5. [1]-الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج3، ص636.
6. [1]-الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د، ت)، ج5، ص235.
7. [1]-ابن دريد الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الأولى، 1987م، ج7، ص306.
8. [1]-ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط -عادل مرشد، وآخرون، د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ -2001 م، ج37، 87، رقم الحديث، 22401، قال المحقق صحيح لغيره.
9. [1]-أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: 328هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1412 هـ -1992، ج1، 451.
10. [1]-الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ -2000 م، ج2، 774.
11. [1]-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م، ج2، ص62.
12. [1]-ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ - 1999م، ج1، ص376.

13.[1]-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت،1407هـ، ج2، ص634.

14.[1]-الزركشي، بدر الدين الزركشي المتوفى، البرهان في علوم القرآن، ط1، 1376، ج1، ص438.

15.[1]-السيوطي، جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376ه، ج4، ص138-139.

16.[1] -الطنطاوي، محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة-القاهرة، (د-ت)، ج1، ص242.

17.[1]-قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط17، 1412 هـ، ج6، ص3445.

18.[1]- اليزيدي، أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد بن المبارك اليزيدى (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن – الهند، ط1، 1397 هـ - 1938 م، ص120.

19.[1]- أبو موسى، محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، ط7، (د،ن)، ص293.

20.[1]-البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د، ت)، ج19، ص149.

21.[1]- أبو الفداء الاستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ) ،دار الفكر، بيروت، (د، ت)، ج9، ص294.

22.[1]-الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1426 هـ - 2005 م، ج9، ص473.

23.[1]-ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422 هـ، ج5، ص299.

24.[1]-السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعوديةط1، 1418هـ- 1997م، ج5، ص330.

25.[1]-البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420 هـ، ج5، ص315.

26.[1]-ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)،

27.زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422 هـ، ج3، ص340.

28.[1]-أبو السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج6، ص536.

29.*1*-ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ، ج19، ص164.

30.عفيفي، أحمد: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.

31.الطباطبائي، عبد المحسن، منظومة الجمل القرآنية المكررة في ضوء السياق والمعنى دراسة نصية دلالية، بحث منشور على الإنترنت.